وإذا أراد خذلان عبد وكله إلى نفسه وخلى بينه وبينها فأغواه الشيطان لغفلته عن ذكره
ذكر الله عز وجل واتبع هواه وكان أمره فرطا وكان ذلك عدلا منه فإن الحجة قائمة على العبد
بإنزال الكتب وإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم فما أبقى لأحد من الناس على الله حجة بعد الرسل
فقوله بعد هذا فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه إن كان
المراد من وجد ذلك في الدنيا فإنه يكون حينئذ مأمورا بالحمد لله على ما وجد من جزاء الأعمال
الصالحة الذي عجل له في الدنيا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه
حياة طيبة الآية ويكون مأمورا بلوم نفسه على ما فعلت من الذنوب التي وجد عاقبتها
في الدنيا كما قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون فالمؤمن
إذا أصابه بلاء رجع على نفسه باللوم ودعاه ذلك إلى الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار
وفي المسند وسنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن المؤمن إذا أصابه سقم ثم عافاه الله
منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل من عمره وإن المنافق إذا مرض
وعوفي كان كالبعير عقله أهله ثم أطلقوه لا يدري لم عقلوه ولا لم أطلقوه وقال سلمان الفارسي
رضي الله عنه إن المسلم ليبتلى فيكون كفارة لما مضى ومستعتبا فيما بقي وإن الكافر يبتلى
فمثله كمثل البعير أطلق فلم يدر لم أطلق وعقل فلم يدر لم عقل وإن كان المراد من وجد
خيرا أو غيره في الآخرة كان إخبارا منه بأن الذين يجدون الخير في الآخرة يحمدون الله
على ذلك وأن من وجد غير ذلك يلوم نفسه حين لا ينفعه اللوم فيكون الكلام لفظه
لفظ الأمر ومعناه الخبر وقد أخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يحمدون الله على ما رزقهم
من فضله فقال ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقال وقالوا الحمد لله الذي أذ
هب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله الآية وأخبر
عن أهل النار أنهم يلومون أنفسهم ويمقتونها أشد المقت فقال تعالى وقال الشيطان
لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم

لي فاستجبتم

فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم وقال تعالى إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم
أنفسكم الآية وقد كان بعض السلف الصالح يجتهد في الأعمال الصالحة حذرا من لوم النفس
عند انقطاع الأعمال على التقصير وفي الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا ما من ميت يموت إلا ندم إن كان
محسنا ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب وقيل لمسروق لو قصرت عن
بعض ما تصنع من الاجتهاد فقال والله لو أتاني آت فأخبرني أن الله لا يعذبني لاجتهدت
في العبادة قيل كيف ذاك قال تعذرني نفسي إذا دخلت النار أن لا ألومها أما بلغك قول الله تعالى
ولا أقسم بالنفس اللوامة إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم فاعتنقتهم الزبانية
وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانقطعت عنهم الأماني ورفعت عنهم الرحمة وأقبل كل
امرئ منهم يلوم نفسه وكان عامر بن قيس يقول والله لأجتهدن فإن نجوت فبرحمة
الله وإلا لم ألم نفسي وكان زياد مولى ابن عياش يقول لابن المنكدر ولصفوان بن سليم
الجد الجد الحذر الحذر فإن كان الأمر على ما نرجو كان ما عملتما فضلا وإلا لم تلوما إلا
أنفسكما وكان مطرف بن عبد الله يقول اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر على ما نرجوا
من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة وإن يكن الأمر شديدا كما نخاف ونحاذر
لم نقل ربنا أرجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل نقول قد عملنا فلم ينفعنا ذلك

لعل الا زائدة

الحديث الخامس والعشرون

عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور
يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أوليس قد جعل
الله لكم ما تصدقون إن بكل تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تهليلة
صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة
قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها في حرام
كان عليه وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر رواه مسلم هذا
قد خرجه مسلم من رواية يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الديلي عن أبي ذر رضي الله عنه
وقد روي معناه عن أبي ذر من وجوه كثيرة بزيادة ونقصان وسنذكر بعضها
فيما بعد إن شاء الله تعالى وفي هذا الحديث دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم

Copyright ... University